

بنت أبيها الشغوفة بالطب والعسكرية والسياسة

مريم الصادق المهدي

وزيرة الخارجية التي تعيد صياغة توجهات السودان



● ثلاثة ملفات ستواجهها المهدي قد تكشف جانباً مهماً من وجهها الدبلوماسي، يفرض عليها استعادة ميراث آل المهدي في البراغمة؛ التطبيع مع إسرائيل والعلاقة الإسرائيلية مع إثيوبيا والعلاقة التاريخية مع مصر.



● وزيرة الخارجية السودانية تكاد تكون عنواناً لافتاً بمفردها في بيت المهدي، فقد ارتبطت أذهان شريحة كبيرة من السودانيين بها، وبت أكثر قرباً لهم، وشد شراسة في المعارضة. (الصور من السوشيل ميديا)

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

فخ القاعات الحزبية وموقعها على رأس وزارة الخارجية.

الثاني هو العلاقة مع إثيوبيا، حيث تميل المهدي إلى تهدئة التوترات مع دول الجوار، وتزامن دخولها الوزارة مع تصاعد حدة الخلافات مع أديس أبابا، وتعهد الأخيرة استئناف الخرطوم في أزمتي الحدود المشتركة وسد النهضة، ما جعل بنت المهدي تخرج عن حملها الدبلوماسي أحياناً وتوجه انتقادات لأذعة للدولة الإثيوبية.

لم تخرج وزيرة الخارجية السودانية عن الخط الذي رسمته السلطة، ذلك الخط الجامع بين التصعيد والتهدئة، لكن تعاملها مع الأزميتين تكشف عن "خشونة ناعمة" في أسلوبها، وربما تكون أسهمت في حفر هذه العبارة في العمل السياسي بالسودان، والذي يختلف عن العمل الحزبي، لذلك ففجأها في عبور الأزميتين عن طريق الأدوات الدبلوماسية سوف يحسب لها، ويعزز الرهان بأنها سياسية بارعة.

أما الثالث فهو العلاقة مع مصر، فعدد كبير من آل المهدي يرتبط بعلاقة غريبة مع مصر، لا هي وثيقة ولا بعيدة أيضاً، فثمة صيغة تجمع بين جنباتها معالم شتى، ويحكم الإقامة لأوقات طويلة في القاهرة تعد مريم من أكثر السودانيين والسودانيات التصاقاً بالثقافة والمجتمع في مصر، حتى ولو كانت موافقة السياسية مختلفة مع الأنظمة التي توالى على الحكم، ومنحتها جاذبيتها الإنسانية مكانة كبيرة لدى قطاع كبير من المصريين.

من حسن حظ المهدي أنها تجاوزت المطبات التي يقع فيها من هم في مثل حالاتها، وابتعدتها العلاقات الجيدة بين القاهرة والخرطوم حالياً عن أي اختبار صعب، فهي مواطنة سودانية هواها مصري، الأمر الذي مكناها من تذبذب ما وصلت إليه الروابط بين البلدين من تطورات، بل والعمل على توثيقها، لأنها تترك أهمية المضامين التي تنطوي عليها وحدة وادي النيل في ظل تحديات إقليمية مركبة تواجه الدولتين لا مكان فيها لفتح جروح أو إثارة حساسيات تقليدية.

تركزت العمل في مجال الطب وتدرت في جيش الأمة للتحريير في أواخر العام 1997 حتى منتصف العام 1998، وتعلمت الرماية وإطلاق القنابل اليدوية، وكانت الأولى على دفعتها في العمل الميداني، حتى نالت رتبة رائد في جيش الأمة الذي كان متمركزاً في الأراضي الإريترية المجاورة للسودان، ضمن قوات شكلتها المعارضة للمضي في الطريق المسلح، لكن الترتيبات أخفقت وعادت مريم إلى الحقل السياسي.

أمواج سياسية متلاطمة

تولت المهدي حقيبة الخارجية وسط أجواء سياسية عاصفة بالنسبة إلى السودان، وكانت تنتظرها على مكتبها العديد من الأوراق لتعيد ترسيم التوجهات الخارجية بما يتوافق مع مقتضيات سلطة انتقالية خرجت من رحم الثورة، غير أن تعامل هذه السلطة مع بعض القضايا لم يكن رائقاً للمهدي المنحدر من حزب الأمة القومي والمحسوبة على طيف من المعارضة المنضبطة. ولعل تعاملها مع ثلاثة ملفات قد يكشف جانباً مهماً في وجهها الدبلوماسي، وقد تكون محكا يفرض عليها استعادة ميراث آل المهدي في البراغمة السياسية.

الأول هو الموقف من التطبيع مع إسرائيل، ففي الـ 4 من نوفمبر الماضي، وبعد أيام قليلة من إعلان السودان عن تطبيع علاقاته مع إسرائيل، صرحت المهدي بأن ربط رفع اسم الخرطوم من قوائم الإرهاب الأميركية بالتطبيع يشكل خطورة لأنه يؤدي إلى انقسام داخل الجسم السياسي والمجتمع السوداني، وكانت مؤيدة لموقف حزبها في رفض عملية التطبيع ونداءاتها.

بعد أن تولت مهامها في وزارة الخارجية لم تتطور العلاقات مع إسرائيل كثيراً على المستوى السياسي، ليس لأن المهدي لا تريد ذلك، فالمسألة لها علاقة بحسابات الدولة ومجلسي السيادة والوزراء، لكن من المؤكد أن عدم حماسها للتطبيع الذي رفضه والدها والحزب له اعتبار في تصوراتها، وهو من الأمور التي سوف تستدعي منها التحلي بالمزيد من الدبلوماسية لعدم الانزلاق في

المظاهرات الشعبية التي قادت إلى الثورة على نظام حكم الفريق إبراهيم عبود. يقولون عنها أيضاً إنها "بنت الناس"، فإذا كانت قد عرفت بأنها بنت أبيها بسبب الولادة والنشأة والتربية السياسية، فهي أيضاً جزء من الشعب بكل معالمه الباطنة والظاهرة، وحملت سماتها الشخصية الكثير من الصفات المشتركة للمواطنين، مثل الطبية والعطاء والذكاء والثقافة والسياسة، وحتى لون بشرتها هو الأكثر شيوعاً في السودان.

عرفت نفسها ذات مرة بكلمات بسيطة، لكنها حوت معاني عميقة، فهي كما قالت "مواطنة سودانية مسلمة وانتمارية (نسبة إلى جماعة الأنصار الصوفية) وأم وأخت. جفت نتيجة هذسة ورائية أشرف عليها الإسم المهدي بنفسه، ودمنا من كل مناطق السودان شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ووسطاً".

وهي تعتقد أن المواطنة أساس للحقوق والواجبات وهذه من أهم موصفات الدولة المدنية التي تسعى لها، فالمواطنة تقضي بما أنها سودانية وفي إطارها القانوني والدستوري أن تمارس حريتها كلها من غير أن تتعدى على حرية أحد.

ترى من الضروري أن تدخل المرأة العمل الحزبي أكثر من الرجال، لأن السياسة في نظرها "إدارة الحياة، والمرأة في السودان عليها أن تدخل السياسة حتى يستعمل الوضع الاجتماعي ككل"، ونجحت بالفعل في استقطاب كثيرات وإقناعهن بأهمية العمل السياسي، ويتخذ منه بعضهن أيقونة ونموذجاً في الانفتاح على الآخر.

كانت أكثر حظاً من شقيقها وجمعت بين كونها امرأة محنتها لها باع في العمل التطوعي والأهلي والإنساني، وبين الذكاء والعلم بخبايا السياسة وثقافة تميزها في العمل الحزبي المباشر أو التحقت بالمقاومة المسلحة، وربما لكل هذه الأسباب والخبرات مجتمعة تقدمت مريم لتصبح على رأس وزارة الخارجية.

ولدت عام 1965 تحت اسم مريم المنصورة، وارتبطت ولادتها بثورة أكتوبر عام 1964 حيث شاركت والدتها سارة الفاضل في واحدة من 1965

السياسي وتعرجاته، وكانت من أكثر الأبناء التصاقاً به في الداخل من خلال هياكل الحزب، وفي الخارج عندما كانت تلازمه في كثير من جولاته، واستشعر نهايتها في وقت مبكر وزج بها في غمار السياسة بخلاف أشقائها وشقيقاتها.

قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري، وتزايدت شكوكها في النتيجة التي يمكن أن يتخض عنها الاتفاق الدستوري حيال عدم الوصول إلى دولة مدنية جديدة، ومكنتها مروحتها السياسية المرنة من استيعاب الكثير من الصدمات والتعامل مع الواقع دون تجميل.

يقول سودانيون إنها خليفة والدها في ملعب السياسة الواسع، أو بالمعنى العام "بنت أبيها" التي حملت جنباتها الوطنية الكثير من الخصال التي عرف بها الرجل، بينها الدراية بتوقيعات الإقدام والإحجام، حيث ازادت مداركها في التأييد والمعارضة بعد أن دخلت دروب السياسة ودهاليزها من أبوابها المتشابكة.

عندما رحل الأب في نوفمبر الماضي اتجهت الانظار إليها باعتبارها خليفة محتملة له على رأس "الأمة" بحكم البوة والإعداد السياسي والتراتبية في العمل الحزبي، فقد احتلت منصب نائب رئيس حزب الأمة القومي، وظهرت رغبة لدى قيادات حزبية في ضخ دماء جديدة خوفاً من معاناة الحزب من تكلس بعد غياب زعيمه، وبتت من الوجوه القليلة القادرة على جمع أشلاء حزب يمكن أن تتزايد انقساماته، وهنا التفتت الأنظار نحو آل المهدي، وفي المقدمة مريم المحنتة.

انتبه كثيرون إلى الطريقة التي تجاوزت بها قيادات الحزب وكوادره صدمة رحيل زعيمه التاريخي، فلم تسند مهام الإدارة إلى أي شخص من العائلة، مناورة أو تغييراً، لا فرق، فقد اختير رئيس مؤقت له هو فضل الله برمة إلى حين إجراء انتخابات داخلية واختيار الرئيس الجديد بصورة ديمقراطية تتناسب مع القواعد التي أرساها أبوها.

تشربت مريم من والدها الكثير من أصول العمل

عاني السودان كثيراً من وراء تضارب سياسته الخارجية، وأرخت التناقضات السابقة بظلالها على علاقاته الإقليمية والدولية. والآن تكشف البلاد عن توجه حديث لإعادة صياغة المنظومة الخارجية بما يقلل عدد الخصوم ويضاعف الحلفاء. بدأت تجليات هذا المشهد تتزايد عقب تولي مريم الصادق المهدي حقيبة الخارجية منذ فبراير الماضي، وتظهر بصمات واضحة لها في ضبط الدفة وتحديد الأولويات لأنها قررت تغليب مصالح السودان على قناعاتها الشخصية.

يتجاوز وجود السيدة مريم على رأس وزارة الخارجية فكرة أنها سلبية آل المهدي، أو أنها بنت زعيم حزب الأمة القومي الراحل الصادق المهدي، وجزء من محاصصة سياسية دخلت في تشكيل الحكومة الأخيرة، فقد درست الطب وخاضت غمار التدريب العسكري في واقعة من النادر حدوثها في الدول العربية، ولديها من الخبرات والتراكمات السياسية ما يؤهلها لمنصبها الحالي بعيداً عن الانتعاشات العائلية.

في مقدمة الكنداكات

بافتراض أن المواعيد لعبت دوراً ما في اختيارها لهذا المنصب فهي لن تتحرك كما دخلته أول مرة متذبذباً أو فضفاضاً، وعليها التعامل بحنكة مع ميراث ثقيل خلفه نظام الرئيس السابق عمر البشير، وعلاج ارتباكات حدثت بسبب تغيير وزيرين خلال عام ونصف العام بعد اندلاع ثورة ديسمبر عام 2018، وصعد خلالها نجم المهدي عندما كانت في مقدمة المظاهرات و"كنداكات" السودان، وحسبت أن أبواب السياسة بدأت تنفتح أمامها على مصراعها وتتقل بعد ذلك من الممارسة الحزبية الضيقة إلى الممارسة الرسمية الواسعة ويكل ضوابطها العامة.

مرت الفترة الأولى بعد الثورة ثقيلة عليها، فبعد أقل من شهرين على اندلاع الثورة ضد نظام البشير أعلن حزب الأمة أن السلطات الأمنية في عهد المجلس العسكري اعتقلتها من منزلها في الخرطوم على خلفية احتجاجات شهدتها السودان، وأطلق سراحها بعد ساعات لأن استمرارها وقتاً طويلاً كان يمكن أن يكلف المجلس الحاكم وقتها ثمناً سياسياً باهظاً، عندما انتشرت تكهنات أنه يعمل لصالح عودة نظام البشير.

أثارت المهدي في الـ 17 من أغسطس 2019 حالة من الجدل بين صفوف النشطاء السياسيين والقوى الثورية عند توقيع الاتفاق السياسي النهائي بين

معالم المشهد السوداني الجديد تتجلى اليوم أكثر عقب تولي المهدي لمهامها، فقد بدأت بصماتها تظهر واضحة في ضبط الدفة

